مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد01 2023/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مقاربة مفهوماتية تطبيقية حول أنثروربولوجيا الأديان والتواصل –في القصة القصيرة– ثقوب في ذاكرة الزمن لجميلة زنير –أنموذجا–

An applied conceptual approach to the anthropology of religions and communication - in the short story - Thuqub fi dhakirat alzaman by Jamila Zaneer - a model–

د. سهام داودي *

جامعة الشاذلي بن الجديد الطارف–الجزائر

daoudisiham36@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/01 تاريخ القبول: 2220/11/12

ملخص:

تروم هذه الدراسة الكشف عن ماهية أنثروبولوجيا الأديان والتواصل في القصة القصيرة من خلال استخراج مشاهد وصفية متنوعة تماهت وامتزجت في السرد الحكائي، ملخصة لنا حمولات ثقافية دينية اجتماعية، تؤسس لثقافة أمة، لذلك ارتأينا أن تجمع الدراسة بين ثلاثة محاور رئيسة ضمت ماهية أنثروبولوجيا الأديان، والتواصل الأنثروبولوجيا بصفة عامة، حيث قدما وحددنا بعض المعطيات النظرية التي تقدم الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته وعلاقته الوطيدة واللامتجزأة من علم الاجتماع والتواصل والأديان. أما القسم التطبيقي وقع اختيارنا على القصة الموسومة بـ "ثقوب في ذاكرة الزمن" لجميلة زنير حيث سيتم استخراج مشاهد مختلفة كمشاهد التضحية، العلاقات الأسرية، الزواج، القرابة، الدين...الخ.

الكلمات الدالة: أنثروبولوجيا الأديان، أنثروبولوجيا التواصل، أنثروبولوجيا، القصة القصيرة، الدين.

Abstract:

This study aims to reveal the nature of the anthropology of religions and communication in the short story by extracting a variety of descriptive scenes that have become confused and mixed in the narrative narrative, summarizing for us cultural, religious and social loads that establish the culture of a nation. Anthropology in general, where we have presented and identified some theoretical data that presents anthropology as a separate science and its close and indivisible relationship from sociology, communication and religions. As for the practical section, we chose the story tagged with "Thuqub fi dhakirat alzaman" by Jamila

* **المؤلف المرسل**: سهام داودي، **الايميل**: daoudisiham36@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Zaneer" by Jamila Zaneer, where different scenes will be extracted, such as scenes of sacrifice, family relationships, marriage, kinship, religion...etc.
Keywords: anthropology of religions, anthropology of communication, anthropology, short story, religion.

مقدمة:

تشهد ميادين الأنثروبولوجيا توسعا رهيبا منذ ظهورها في ساحة الأبحاث وعلاقتها بالإنسان ومجالات حياته المختلفة، وارتباطها بعلوم شتى علم الاجتماع والاقتصاد والسياحة والصحة والحرب والفن وغيرها، ضف إلى ذلك ميدان أنثروبولوجيا الأديان، وهو مجال خاص بالمعتقدات والممارسات الدينية على تشعبها وتعددها في المعمورة، ناهيك بصلتها الوثيقة بالأسرة والزواج والمقدس والعادات والتقاليد، فهي تحدد موضوعها تحديدا دقيقا، وتسلط الضوء على العلاقة القائمة بين المقدس والمجتمع، وشرح العلائق بين الإنسان والطبيعة وعوالم السحر والجن والإيمان والروح والموت والبدع وغيرها. وعليه سنقسم دراستنا إلى ثلاثة محاور رئيسية، المحور الأول نتناول فيه ماهية الأنثربولوجيا الأديان، والمحور الثاني يضم مفهوم الأنثروبولوجيا عامة أما المحور الثالث يخصص أنثروربولوجيا التواصل، أما الممارسة التطبيقية نحاول رصد مختلف الأنساق الدالة على التواصل والدين.

أولا–الجانب النظري

1–ماهية أنثروبولوجيا الأديان:

أنثروبولوجيا الأديان "لا تقتصر على وصف الأمور الدينية وتفنيدها وتضيفها، بل ترى أنّ الدين جزء من الثقافة، ويبحث عن تفسير أوجه الشبه والاختلاف بين المظاهر الدينية في المجتمعات المختلفة دون أن يميز مؤسسة التوحيد التي شكلت ضمائر في الغرب كما يهتم أيضا بالطقوس النيالية والأساطير الإفريقية في غينيا والشامانية السيربية وسحرة إقليم بريطانيا" (ريفير ، 2015، صفحة 20)

فتخصصاتها متشبعة تخرج عن إطار حدود وشؤون الدين في تطرق أبوابا عدة مثل الأصول الاجتماعية للدين، ودور هذا الأخير في تنمية البشرية والمجتمعات، وصقل الأخلاق، وتهتم أيضا بوظائف وأدوار الدين في تسيير الحياة اليومية، وإرشادها وضبطها وفق المعتقدات والأديان المنتشرة في العالم، والملاحظ جيدا من خلال تقديمنا للتعاريف السابقة لأنثروبولوجيا الأديان (الدين)، أن الموضوع الرئيس هو "الدين" فكلمة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

"دين" عبر القرون شهدت تنوعا لم يستقر إلا في عصر النهضة عندما أكد "نيكولادي كو" " nichasde cues" عالمية الوضع الديني ورع وشعائر، والتنوع الأنثروبولوجي للأديان طبقا للثقافات في آن واحد وذلك في كتابه "سلام الإيمان" 1453 م "la poix de la foi" (ريفير ، 2015، صفحة 21)، وعليه حاول علماء الأنثروبولوجيا إعطاء تعريف دقيق للدين بمعطيات ووجهات نظر مختلفة، إلا أنه تم ربطه في الأغلب بالثقافة أو أنه جزء لا يتجزأ منها، ويهتم أيضا بالمقدس والتعرف عليه وبالمدنس وإحكام الأعراف والتقاليد، وتحديد المسالك الصحيحة التي ينتهجها البشر في فن التعامل مع بعضهم البعض، وفهم الحياة والخلاص من مشكلة الوجود الإنساني، وماذا بعد الموت؟! وثنائيات كثيرة كالجنة والنار، الموت والحياة، المقدس والمدنس، الخير والشر، الملائكة والشياطين، الوجود والفناء وغيرها من المصطلحات التي لازمت حقل الدين والعبادة وسر الوجود الإنساني.

بزغّت لنا أيضا حقولا جديدة، ضمت الدين كمبحث رئيس في أبحاثها مثل: "علم الاجتماع الديني" الذي أرساه "ماكس ويبر" max weber" وهو "دراسة الأديان السماوية في الحضارات الكبيرة وبحثا محدودا في ناحية الكم يتعلق بالعقائد والممارسات وأشكال التنظيم لديني في المجتمعات المعقدة والحضرية." (ريفير ، 2015، صفحة 20)

وتوالدت منها مثل علم النفس الأديان الذي يوكل على عاتقه تقديم تفسيرات نفسية، ككيفية التعبير عن المقدس عند "الإنسان طبقا للعمر والجنس أو السمات الأساسية وتنوع الانتماءات والتجربة المعاشة المؤثرة للطقس." (ريفير ، 2015، صفحة 21)

نجد أيضا من يعرفه "بعلم اللاموت الخاص بديانات التوحيد كعلم معياري يحكمه الإيمان في حقيقته كما أنزلها الإله، فهو علم شامل يجيب عن السؤال التالي: "فيما يتعين علينا الاعتقاد؟ وفي وقت سادت هذه التفسيرات دينا ما، وكان نتيجة ذلك إصدار أحكام تخص اللعان وتناهض الهرطقة وفقا لمعايير الدين." (ريفير ، 2015، صفحة 21)

فأنثروبولوجيا الدين كانت بوجه تحت سيطرة النص الديني (ديانات الكتب) فثمة جزء لا يستعان به من الدين يكمن في الممارسات الآلية، بل في بعض السياقات وفي "التقنيات كقواعد السلوك من أجل الاحتفالات والتضحيات والصلوات ووصف الشعائر والتمثلات والعقائد والأساطير." (أوجيه و بول كولاين، 2008، صفحة 07)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وكانت كل عقيدة دينية هي صحيحة وما تؤديه من وظيفة موكل على عاتقها في الحياة الاجتماعية (عبادات) خاصة فأثير كتاب "أميل دوركايم" (1858-1917) أشكال الحياة الدينية الأولية formes elementains de la ne religieuse." (أوجيه و بول كولاين، 2008، صفحة 07)

وسلطة المقدس باعتبار هذا الأخير هو الحاسم الفاصل اللامتجاوز خط أحمر، فالدين هو "أفيون الشعوب" إنه سلاح إيديولوجي بيد الطبقات المسيطرة خاصة في (إطار التحليل الماركسي) سلطة الكنيسة. (أوجيه و بول كولاين، 2008، صفحة 07)

يتوارى تحت مصطلح "الأنثروبولوجيا الدين "أرضيات أخرى كالثقافات تعددية غير أن "حقل الدين" يحاول أن يؤسس صرحه الخاص به فاستقلاليته ما زالت موضوع نقاش؛ لأنها تندرج تحت لواء المجمل والمتسع وأنماط الفكر الكونية والمجالات الخيال والأساطير والأوهام واللامرئي واللاموجود وبين التصديق والكذب والحقيقي والمجرد، ولهذا يصادفنا هذا الشق من البحث والتحليل الدقيق والمنطقي الخاضع لمنهج وتجربة وأسس وفرضيات العلوم التجريبية الطبعة وبين سلطة العقل والمنطق، فهل نؤمن حقا بعوالم غير مرئية؟ كيف ذلك؟ وكيف نقنع الأخر بهذا؟ وكل الأسئلة المتعلقة بالكون واللاموت وغيرها، والتي كانت ضمن المحاور الأساسية في الفلسفة؟

فلطالما أدرك الإنسان أن حياته تتماشى وتتوازى مع الآخر بأي شكل من الأشكال، فالإنسان حيوان ناطق-على حد تعبير -"الجاحظ" وهو بحد ذاته كتلة من المشاعر والأحاسيس والانفعالات والسلوكات والغرائز. . . الخ، فهو محور الحياة كلها.

فبتجاربه ومغامراته منذ القدم إلى يومنا هذا، يصنع الحدث ويحكي حكايات فهو بطلها "فالحياة سرد" والحكي لصيق بنا، بواقعنا بمعطياتنا الحقة، كما يأخذنا إلى عالم الخيال والأساطير ويحلق بنا عاليا في صنع الإنجازات الخارقة التي مع زماننا هذا أصبحت مجسدة على أرض الواقع، فمن الأساطير والقصص الخيالية إلى فنون أخرى تسرد وتجسد بطرق جديدة، فهو دائما يحتوي عالمه بصور مختلفة ووسائل أخرى في زمان ومكان معين ومختلفين.

ومع تقدم الفكر العلمي البشري تتقدم قصصهم أيضا وشروحاتهم لما يدور من حولهم، الأرض تستمد حياتها من السماء، من نور الشمس ودفئها ومن ضوء القمر وماء المطر لو نقص أو زاد على حده هلك ما

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

على الأرض فعبدت السماء وكواكبها ونجومها وأضفت الحياة على الجبال والكهوف والمغارات ومنابع المياه، والأنفار والبحار وفصول السنة والشجر، وقدمت لها القرابين." (نويوات، 2006، صفحة 09، 10)

ولهذا لابد من مواكبة التطورات الحاصلة والانتقال من عالم الروحانيات والميتافيزيقيات ومن المجرد إلى المحسوس ومن الواقعي إلى اللاواقعي. وعلى هذا الأساس بنت الأنثروبولوجيا صرحا له حدوده لفهم الإنسان وجعله محورا أساسيا للدراسة والأخذ، وموضوعا مركزيا للتحليل أو نسقا خاصا في البحث مع أخذ بعين الاعتبار العلاقات والروابط الاجتماعية النفسية. والدينية ... الخ. فمن الأساطير لفهم وشرح ما يجري في الطبيعة والمرحلة (الإحيائية) (animisme) وغيرها إلى عالم المنطقيات والخوارزميات والإدراك والانفجار العلمي والتقدم التكنولوجي والتقنيات والإلكترونيات فتتغير الأداة والانفتاح إلى أنه ما زال يحتكم إلى القصص (بوسائل شتى) للتفسير، ومن هذا المنظور يرى علماء الأنثروبولوجيا أننا كل يوم نفسر ونروي قصص تجاربنا الخاصة وتتشابك وتتداخل مع بعضها البعض، مما يقود التجربة إلى التفسير وتقودنا بالتالي إلى تاريخ معقد، فالبشرية منذ وجودها على البسيطة عرفت أشواطا كثيرة، وأنماطا مختلفة من التفكير وإدراك قوانين طبيعة الوجود ومجابهة شظف العيش والمعترك الحياتي ككل "فالبشرية في صباها وضعفها عرفت هذا وغير هذا من أنماط التفكير ومرت بهذه المرحلة الصعبة ولم يكن لها حول ولا قوة تدفع بهما الأذى وتجلب الخير لنفسها اعتقدت أن لكل ما يحيط بها روحا وأن السلطة أقواها،

فالدراسة الأنثروبولوجية على اختلاف ميادينها تحاول بناء نظرية حول فهم الإنسانية، فأصعب سؤال يواجهه الإنسان، هو أن يفهم نفسه ؟- على حد تعبير -سقراط "اعرف نفسك" والمحاولات تجري كي يعرف الإنسان نفسه، لقد اتجه علم النفس المعاصر نحو فهم الإنسان عن طريق فهم سلوكه كفرد أو كجماعة أو كفرد داخل جماعة" (بياجيه، 1976، صفحة 94) من خلال سلوكاته ومهاراته وأنماط التفكير والممارسة والإنجازات والعلاقات والروابط الأسرية وغيرها والروابط الثقافية والعقائدية والعادات والتقاليد والطقوس، فالشعوب تهتم بتاريخها الحضاري والثقافي وتبحث دائما على أساسات ومستندات لتصل إلى التأصيل وإضاءة الغموض حول الأحداث والمجريات وتكون حلقات وتحدد معالم الأسلاف وآثارها، لترسم لنا في نهاية المطاف تفردا وتميزا بها، وبصمة خاصة بها، وتتضح الرؤية في كتابة أسطر حول تاريخ أمة بعينها، وهذا من مجالات أبحاث الأنثروبولوجيا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يقول "بوتومور": "إننا نلاحظ أن موضوع الدراسة الآن هو المجتمعات في أثناء عملية النمو الاقتصادي والتغير الاجتماعي، وهذا هو الموضوع الذي يدرسه كل من علم الاجتماع وعالم الأنثروبولوجيا على السواء، يضاف إلى ذلك أن النظر إلى المجتمعات البدائية بوصفها تمثل موضوع الأنثروبولوجيا الاجتماعية، أخذت تختفي بصورة واضحة كما أن انفراد علم الاجتماع بدراسة المجتمعات المتقدمة هي مسألة موقع جدل إلى حد ما. . . " (الجوهري و شكري، 2007، صفحة 13)

فهناك جدل كبير قائم بين الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته وبين علم الاجتماع، اختلافات جمة في المنهج والمصطلح والمدخل إلا أنه توجد نقطة تقاطع والتقاء بين هذين العلمين، فالدراسات الأنثربولوجية بالذات تشعر بأنها لا تريد الابتعاد عن الواقع أو التعالي على هدا الواقع، بل هي لا تستطيع أن تفعل ذلك وتحافظ على هويتها كعلم إبريقي، وتدلنا على ذلك بشكل جلي الأنثروبولوجيا التطبيقية، والتي تنطوي على توجيه سلوك البشر من أجل تحقيق غايات معينة. (الجوهري و شكري، 2007، صفحة 13)

وقد نهضت الدراسة الأنثربولوجية حديثا في بعض البلاد النامية واحتلت مكانا موقوما بين فروع العلوم الاجتماعية الأخرى." (الجوهري و شكري، 2007، صفحة 16) أما

2-تعريف الأنثروبولوجيا:

كلمة أنثروبولوجيا مكونة من مقطعين الأول: Anthropo أي الإنسان والثاني هو "Logy" إلى العلم أو الدراسة، ومعنى ذلك أن ترجمة اسم هذا العلم هو "علم الانسان" أو دراسة الإنسان، والحقيقة أن ترجمة اسم العلم الأنثروبولوجي إلى اللغة العربية أثبتت عدم جدواها واتضح أنه أمر غير علمي، لأنه لا يقدم تسمية كاشفة دالة. (الجوهري و شكري، 2007، صفحة 18)

فهناك علوم كثيرة جعلت الإنسان (النفس البشرية) موضوعا لها، كعلم النفس والاجتماع والتاريخ وغيرها، ولهذا نلاحظ تداول مصطلح "الأنثروبولوجيا" كما هو معرب ضمن الأبحاث العربية، أما موضوعه كما ذكرنا –سالفا–أي الدراسة الشاملة للإنسان." (الجوهري و شكري، 2007، صفحة 18) فالأنثروبولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة كالسلوك ونمط التفكير والإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنوعة والتراث الفكري. وأنماط القيم والمبادئ والاتساق والإبداع الأدبي والفني، ارتبطت الأنثروبولوجيا بالعلوم الاستعمارية وهذا ما جعلها في بوتقة ضيقة وحيز دائري لا تستطيع النفاذ منه "فقد

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كانت الثقافة الشعبية هي الرصيد المعتمد في الاستكشاف العلمي للمجتمع الجزائري، فوظفت نتائج دراستها في خدمة الاحتلال منذ البداية." (بورايو، 2006، صفحة 08)

تنقسم الأنثروبولوجيا إلى عدة أقسام منها: أنثروبولوجيا طبيعية: دراسة الإنسان في مظهرها البيولوجي وإلى أنثروبولوجيا اجتماعية وثقافية وهذه الأخيرة تعني تطور اللغات على مر الزمان والتنظيمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية." (أوجيه و بول كولاين، 2008، صفحة 07)

فالدراسات الأنثربولوجية طرقت أبوابا عدة كالأدب والسياسية والدين والاقتصاد والاجتماع. . . وصولا إلى "ابتكار حقول جديدة وتوقع ظهور ميادين جديدة تمارس فيها الأنثروبولوجيا." (أوجيه و بول كولاين، 2008، صفحة 05)، كما تبني جسرا وطيدا مع العادات والتقاليد والقيم والمبادئ الإنسانية والثقافية باعتبار هذه الأخيرة "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه." (بن نبي ، 2000، صفحة 19)

أما الأنثروبولوجيا الاجتماعية يعرفها: "إدوارد إيفانز بريتشارد" بأنها "دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتخذه في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أوفي المجتمعات التاريخية." (أوجيه و بول كولاين، 2008، صفحة 13)

فهذا الفرع يأخذ على عاتقه وصف ومعاينة مظاهر العيش والحياة الاجتماعية الحضارية، وتخلله الممارسة التطبيقية الميدانية لنماذج وعينات حية مجسدة على أرض الواقع (عن كثب). وعليه يجرنا الحديث إلى فروع عدة تنشأ بين الأنثروبولوجيا وعلوم أخرى سواء كانت إنسانية، تجريبية، طبيعية نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أنثروبولوجيا وصفية، أنثروبولوجيا لغوية، الأنثروبولوجيا المعرفية، الأنثروبولوجيا الثقافية، الأنثروبولوجيا التربية، أنثروبولوجيا طبيعية وغيرها.

وموضوع بحثنا هو أنثروبولوجيا التواصل أو الاتصال وعلاقته بالدين أو بالأحرى القضايا والأمور الدينية أو الشعائر أو الطقوس والعبادات والفرائض والشرائع، وهو فضاء أو حقل جديد بدأ التأسيس له مؤخرا، حيث أصبح الاتصال موضوعا ضمن موضوعات واهتمامات الدرس الأنثروبولوجي، وأصبح ينظر للاتصال

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

على أنه تجربة أنثروبولوجية، وهنا نستحضر اسم أحد كبار رواد هذا الحقل "ايفن وينكين" حيث يوضح أن بؤرة مجال الأنثروبولوجيا الاتصال اتسعت لتتحرر من الانشغال اللغوي الذي كان منطلقا بداية هذا العلم إلى دراسة كل السلوكيات والوضعيات والأشياء الموجودة عند جماعة معينة على أساس أنها لها قيمة اتصالية، فالإنسان كائن لغوي يعتمد على الاتصال والتواصل مع بني جنسه، يعيش في مجتمع تحكمه وتسوده نظم وأسس وقوانين وأنساق اجتماعية ويعتمد في أعماله على سلوكات معينة وأعمال محددة.

كما نشير أيضا أن "إرساء البحث في المقام التواصلي على أساس علمي قد جاءت من حقل الأنثروبولوجيا، ونخص بالذكر هنا اجتهادات الباحث الأنثروبولوجي البولوني "بروتيسلاف ومالينوفسكي" التي شكلت منطقا للدارسين المهتمين بالتواصل اللغوي، وبالتداوليات أو استعمال اللغة على وجه التحديد." (الكدالي، 2019، صفحة 08)

3-مفهوم التواصل:

بنى جاكسون نظرية التواصل اللغوي على اللسانيات وعلم التواصل مبادئ وأسس، وعلوم أخرى كالانثروبولوجيا الثقافية الاجتماعية وغيرها، وأولى أهمية بالغة للتواصل، (جاكبسون، 1984، صفحة 26 وما بعدها) وحدد عناصر الرسالة كالآتي: (جاكبسون، 1984، صفحة 35)

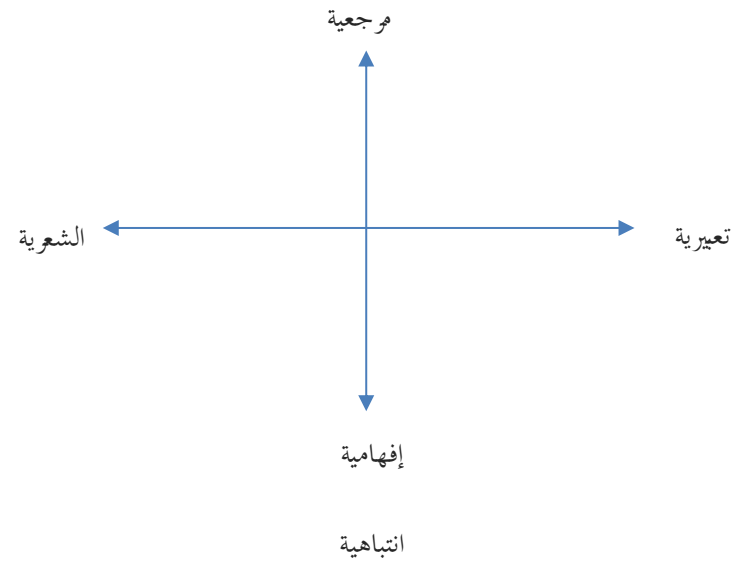

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وكل عنصر يحد بوظيفة معينة:

-المرسل: وظيفة تعبيرية -القناة: وظيفة انتباهية

-المرسل إليه: وظيفة إفهامية -النسق: وظيفة معجمية أو ما وراء اللغة

-السياق: وظيفة مرجعية -الرسالة: وظيفة شعرية تتولد لها

والحديث هنا يطول عن بزوغ هذا الحقل، وعليه سنكتفي بإحالات لتعريفه.

ومن خلال النموذج التواصلي لدى "جاكبسون" المبني على أساس نظام التواصل القائم على المخاطب المنجز للكلام، والمخاطب متقبل الرسالة والرسالة ذاتها تحتاج إلى سياق، وصلة، وسنن، يقول: "إن اللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها. . . ولكي تكون الرسالة فاعلة فإنها تقتضي سياقا تحيل عليه (. . .) وبعد ذلك سننا مشتركا كليا وجزئيا بين المرسل والمرسل إليه (. . .) يسمح بإقامة التواصل والحفاظ عليه." (بوحوش، صفحة 29، 30)

وقد انطلق الناقد "رامان سلدن" من هذا الأنموذج التواصلي وطرح مسألة التأثير وتأثر الأعمال الأدبية بالنظرية التواصلية هذه فأبرز دور الرسالة، ودور القارة الذي يفكك شفرة الرسالة في بناء الفعل التواصلي وإدراك الدلالات المختلفة. (بوحوش، صفحة 66)

أما في بحثنا سنحاول رصد جل مظاهر التواصل الذي يبوح بها الخطاب أو القاص، فالأثر الذي يكشف عن نفسه من خلال الحكاية، باعثا دلالات وإيحاءات وإشارات وإماءات لتلقي، مكونة تواصلا عبر التراكيب والعبارات والوظائف اللغوية، وعليه هو بحث في الغاية والأهداف من بعث التواصل الأنثروبولوجي الذي ليس شيئا خارجا عن مضمون بنية الحكاية لكنه أثر فعلي لكل ما هو مؤثر عليه.

يعتمد التواصل الأنثروبولوجي على مجموعة من المبادئ هي:

- الإنسان معيار كل شيء.
- الإنسان موضوع دقيق.
- الإنسان مجال مشترك يمكن أن يدرس.

"فالفعل التأثيري (التعبيري) عند "ريكور" أكثر الأفعال التواصلية تعقيدا سواء في مستوى الإنجاز اللغوي من قبل الذات المتكلمة أو في مستوى اللغة الواصفة لهذا الإنجاز" (الكدالي، 2019، صفحة 28)، وأيضا تشكل القوة التأثرية بين الفردي والجماعي وبين الماضي والحاضر، فيقول "أزفالد ديكرو .O

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Ducrot": "في كل نص يمكن البحث عن أثر العقائد العميقة التي يستلزمها الظرف أو المرحلة، نقصد أن النص لا يكون متسقا إلا عندما نكمله بعقائده " (الكدالي، 2019، صفحة 332)

ثانيا–الجانب التطبيقي:

الحياة سرد للوقائع والأحداث فكما قال رولان بارث: "المحكي موجود كوجود الحياة" فالمحكي هو تفاعل بين الشخوص في فضاءات متعددة وأزمته، وتنام لمجريات ومغامرات تصور لنا مآسي وأفراح وملذات الحياة، وتحتوي الآلام والأحلام والطموحات والأماني والأمنيات. كما يحوي ضمن طياته وقائع ونقل أحداث وثقافات وعبادات وعادات وتقاليد، ينقل ثقافة الأمم وكيفية تفكيرها، وكيف رسمت الشرائع الدينية، والفرائض حدود الفرد بين المتاح والمباح والحلال والحرام، يرسم أيضا نسيج التواصل الروحي بين العبد وربه، وأيضا بين احترام العبد لأخيه ومعرفة حقوقه وواجباته، كل هذا وأكثر فالأدب بصفة عامة هو مراة عاكسة للواقع.

يعتنق الخيال، ويحوم حول دائرة الحلم والحقيقية مجسدا فلسفة الحياة، فمن خلاله نرسم ثنائيات الكون: الحب والكره، الأمل واليأس الحياة والموت، الفشل والنجاح والصعود والنزول. إضافة أنه يرسم أيضا حدود العادات والتقاليد ومقاليد الحكم والسياسة والدين والعقيدة فمن خلال الذات المبدعة (المؤلف) تنقل لنا رؤى وتجارب إنسانية فيفيض الإبداع الفني في المستوى السردية بوصفه "تعبيرا عن وجود الإنسان داخل فضاء نفسي واجتماعي وسياسي يضاف إلى تعبيرات أخرى تمس مظاهر العيش لتشكل في مجموعها خطابات ولغات يتوسل بها الأفراد وينتجونها لفهم العلائق والسلوكات." (برادة، 2012، صفحة 18)

فالمؤلف يتكلم بلسان الجماعة ويرى بعيونهم وينتقل ثقل الأحاسيس والمشاعر مع اختفاء نوع من الجمالية البنية والرؤى الذاتية في أنساق لغوية أو يحاول أن يوضح مواقف يعيبها أو يفسرها أو خلق رؤى أخرى تلوح في الأفق من أجل التغيير أو بناء معرفة أخرى. وقع اختيارنا على جنس أدبي ألا وهو

القصة القصيرة "short story " من الأجناس الأدبية النثرية السردية فالقصة هي التي تمثل حدثا واحدا في وقت واحد وتتناول شخصية مفردة أو حادثة مفردة أو مجموعة من العواطف التي آثارها موقف موحد تتراوح طولها بين 1500 و10000 كلمة وإلا نقصت من هذا الطول وزادت عن 500 كلمة سميت أقصوصة. (كحوال، 2007، صفحة 52)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فللقصة دور كبير في قسم وتلخيص الحياة كما تعتبرها الأنثروبولوجيا مفتاحا لفهم الحياة، وعليه باتت ضرورة الإدخال القصة كموضوع دراسة داخل الحقل الأنثروبولوجي (الأنثروبولوجيا السردية).

فالقصة هي عرض لمجموعة من الأحداث الواقعة في مرحلة معينة من مراحل الحياة وعادة ما تكون محور القصة شخصية معينة وأن يكون مصورها حورا داخليا أو أمورا نفسية يدونها الكاتب في حادثة (. . .) (الربيعي، الصفحات 15-19)

تضم القصة القصيرة حقائق فيه الأسلوب، الاختصار المفيد، استخدام ألفاظ معبرة، تترك أثرا وتفاعلا في نفوس القراء يحاول هذا الأخير فك شفراته "فالتواصل اللغوي القائم على التشفير من لدن المتكلم وفك التشفير من قبل المخاطب جزء مكمل ومعزز للتواصل الاستدلالي القائم على الإظهار من لدن المتواصلة والاستدلال من قبل المخاطب" (الكدالي، 2019، صفحة 161)، ويتأتى ذلك بعرض منسق ومتسلسل انسيابي للحدث ما يشكل لنا في نهاية المطاف نسيجا قصصيا.

1-محتوى القصة:

وقع اختيارنا في هذه الدراسة على قصة موسومة بـ "ثقوب في ذاكرة الزمن لـ جميلة زنير" برعت القاصة في تصوير ونقل الحياة الاجتماعية وجعلت المرأة الجزائرية، بطلة القصة، ناقلة عبرها، عادات وتقاليد مجتمع، وقضاياه المختلفة وما رسمه الدين الإسلامي من فرائض وعبادات وحقوق وواجبات للمرأة وأدوار هاالمرأة المتعددة كالأم، الأخت، الحبيبة. . . الخ، فأجمل ما في هذه القصص مضامينها التي تجعلها تعايش حالات معينة من حياة الإنسان الجزائري بين الريف والمدينة وحالة المرأة الجزائرية بوجه خاص. (زنير، 1983، الصفحات 25-59)

تدور أحداث القصة حول شخصية امرأة أشعلت الحياة كاهلها وأرادت أن تبوح بأسرارها وترويها للراوية "جليلة" حيث جاء في متن على لسان البطلة "جئت لأسرد عليك قصة عذاب طويل مع الليل والعواصف، بودي لو يعرفها الناس ولكن ليس عن طريقي. . . . لقد اخترت أن أهديها لقلمك. . . . ضاق بها صدري. . . . ضاق، جئت لا تطهر بين يديك من رجس الليل وعذاب العواطف، وأنا لا أجد صدرا أسند إليه رأسي المثقل بالهموم حتى وسادتي ضاقت من حمله كل ليلة " (زنير، 1983، صفحة 27)

فهي معاناة امرأة ريفية، سلبت شرفها (في المدينة) حيث غادرت الريف إلى المدينة بحثا عن ملاذ، وظنا منها أن المدينة هي أحلام القزحية، لكنها اصطدمت مرة أخرى بالواقع المرير.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ووجدت طعم الرماد ومرارة الذكرى تلاحقها منذ زمن طفولة البطلة إلى يوم زواجها، وعلاقتها العابرة (في السابق) بالجندي الجريح "حمادي" الذي غير مجريات الحكي، وكان له دور كبير في تغيير مسارات ومجريات الأحداث.

أيضا تنقلنا القصة إلى زمن الحكي (زمن الاستعمار الفرنسي) إلى امتزاج فرحة البطلة "خولة" باستقلال البلاد مع دموع وحزن ما فقدته، فهي تعرضت وصديقتها لاغتصاب عندما كانت تبحث عن الجندي "جمادي" فالقصة تصور معاناة المرآة الجزائرية أثناء الثورة وبعدها (الاستقلال).

صورت لنا القصة قصة الشرف، وعذرية الفتاة التي كانت وساما لبعضها وطاهرتها في مجتمع محافظ له تقاليده وعاداته وأيضا ما ينص عليه تعليم الإسلام، فالبطلة تعرضت للاغتصاب وأخفت هذا الحدث المأساوي عن عائلتها وبقي سرا أسودا وشبحا يلاحقها أينما ولت وجهتها امتهنت البطلة مهنة التمريض في المدينة لفترة معينة، ثم قرر جدها للرحيل مرة أخرى إلى الريف حيث استقرت خولة هناك وعملت بمستوصف القرية، ثم تقدم لـ "خولة" شاب قدم من المهجر لخطبتها وحدد موعد الزواج.

2-تجليات أنثروبولوجيا التواصل في القصة:

تجلت أنثروبولوجيا التواصل في القصة من خلال المشاهد الآتية:

أ-العلاقات الأسرية:

- **حب الأخوة:** الحب الشديد والتعلق بالأخت الكبرى خاصة التي تمثل صرخا وأمانا ومكانا بعد الأم، وهذا ما أراده المحكي: في حب خولة لأختها زهور، وتعلقها بها وبما تعلق وولعة الفراق بعد زواجها. كما نص على ذلك ديننا الحنيف في الاية الكريمة ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾ (سورة القصص، الآية 35)

- ". . . كانت تتلاحق في ذهني أفكار شتى، وبجانبي ترقد "زهور" رفعت الغطاء عن وجهها إلى أن لفحتني أنفاسها الدافئة وطبعت على خدها قبلة هادئة فإذا بها تجهش بالبكاء. . . قلت مندهشة.

- المتنامي بعد؟

- أجابت والحزن يقطر من صوتها:

- نعم، ولعدة ليال

- . . . . . .

- فأنت راحلة إذن؟

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- أنشق اللواتي سترحلن.

هكذا تزوجت "زهور" ببساطة ومن غير مراسيم ولا حفل، (زنير، 1983، صفحة 39)

كلنا حزنى، كلنا حتى جدي الذي استبقاها معه أحس الألم الذي بدا على وجوهنا. . . كان الفراغ الذي تركته رهيبا.

صرخت في وجهي والدتي بحدة وصرامة:

" زهور" تزوجت يجب أن تفهمي إلى متى ستبقى معك؟ سرت والدموع تطفح من عيني، والذي عجز عن إدراكه عقلي الصغير، (زنير، 1983، صفحة 40)، يرعب القاصة في تصوير مشهد الفراق ولوعة الشوق والحنين للأخت الكبرى، بعد زواجها من جندي عسكري، لم يتسن لها رؤيته إلا أن يكون زوجا حاضرا معها، بل يكون زوجا غائبا تنتظره العروس بعد أن يكمل كلمته العسكرية؟

مشهد صورة الحب (بين البطلة خولة والجريح حمادي):

كلنا خدعنا بهذه الكلمات الحب. . . الزواج وبعدها نكتشف ألا حب موجود ولا زواج. "فرحت بهذه المهمة التي أسندت إليّ فقد شعرت بقوة كبيرة تشدني لهذا الجريح المسمى "حمادى" طوق كتفينا بذراعيه وتحنى علينا يجر رجله الجريحة. . . شعرت بثق ذراعه يجتاح عقلي." (زنير، 1983، صفحة 37)

ب–مشهد البوح والألم:

"جئت لأسرد عليك قصة عذاب طويل مع الليل والعواطف بودي لو يعرفها الناس. . . . . فأنا لا أجد صدرا أسند إليه رأسي المتحصل بالهموم، حتى وسادتي ضاقت من حمله كل ليلة"

"أنا الريفية الساذجة، دخلت المدينة والأحلام الزوجية تسكن صدري، فإذا المدينة غابة كبيرة، كبيرة جدا وأنا كشجرة خضراء تعقد إليها الأيادي وتمتد. . . والزمن ينسلق أعضائي ويعبث. . . . يعبث، ثم لا شيء سوى طعم الرباء ومرارة الذكرى"

"ستضعين يدك على الجرح بنفسك، وستطئين الجمرة معك برجلي، وستحزنك المآسي المفجعة والحوادث المؤلمة "أيضا يتجلى الألم والحزن في فراق البطلة خولة لأختها "زهور" التي تزوجت بجندي غائب، وتزوجت زواجا تقليديا بقرار من جدها ووالدتها، وهذا ما جعل البطلة "خولة" تدخل في دوامة." (زنير، 1983، الصفحات 22-27)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

نشير هنا أيضا لنقطة مهمة ألا وهي الإشادة في الشريعة الإسلامية بقدسية الزواج وربط أواصره وأنه مبني على الصدق والمحبة والمودة، أنه عقد متين له ضوابطه وأسسه، وهذا مانلتمسه في ثنايا القص خاصة في زواج أخت البطلة وقبول وليها (جدها) لعرض الزواج من جندي لا تعرفه العروس من قبل فطاعة الوالدين من طاعة الله سبحانه وتعالى أيضا أنه لايتم الزواج بدون ولي.

خاتمة:

وحوصلة القول: إن أنثروبولوجيا الاتصال والأديان هي زاوية من زوايا البحث في العلوم الاجتماعية وتوسعت أطروحاتها المعرفية ضمن دائرة التواصل باعتباره جزءا لا يتجزأ من حياتنا، فبالرغم من تعدد صوره من مونولوجيات داخلية وخارجية، التواصل فنلمس التواصل الروحي والعقائدي ما يربط العبد بربه أولا ثم التواصل الاجتماعي بأنواعه التواصل الأسري والتعليم، التواصل والتربية...الخ وصولا إلى أنثروبولوجيا التواصل والأديان التي أرست صرحها وحددت موضوعها وتحررت من الانشغال اللغوي إلى دراسة كل ماله علاقة يربط جسور التواصل في السلوكيات والوضعيات عند الأفراد، وهو ما يصنف أن الاتصال تجربة أنثروبولوجية فتعددت مفاهيم التواصل وذلك بسبب طبيعته وآلياته وربطه بميادين شتى ومجالات الحياة والنظم الاجتماعية. والدينية والعقائدية والشرائعية.

وأيضا ما يتعدى حدود القارئ في اكتشاف مختلف السياقات المضمنة بين الباث والمؤسل إليه في النص الأدبي بشقيه (نثرا وشعرا) وهذا ما حاولنا في دراستنا هذه أن نسلط الضوء عليه وبالفعل نجد تجليات أنثروبولوجيا التواصل والأديان في القصة القصيرة بارزة من خلال مشاهد متعددة (الحب، الألم، التضحية...) ووضعية حوارية بين الشخوص باختلاف الزمان والمكان والحدث. كما نشير إلى هادفة وهي أن أنثروربولوجيا الدين لا تقتصر على وصف الأمور الدينية وفقط، بل تجسد فكرة أن الدين هو جزء لا يتجزأ من ثقافة المجتمعات وهذا مالمسناه في القص، كما يبين ملامح اختلاف هذه الثقافات وتصادمها بين اختلاف وائتلاف.

المراجع

1. القرآن الكريم

2. جان بياجيه. (1976). وضع علوم الإنسان في منظومة العلوم في اليونسكو الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية. (أسعد عربي درقاوي، المترجمون) مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، دمشق.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

3. جميلة زنير. (1983). دائرة الحلم والعواصف، مجموعة قصصية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

4. رابح بوحوش. (بلا تاريخ). الأسلوبيات وتحليل الخطاب. عنابة: منشورات جامعة باجي مختار.

5. رومان جاكبسون. (1984). قضايا الشعرية. (محمد الوالي ، و مبارك حنون، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

6. عبد الحميد بورايو. (2006). الأدب الشعبي الجزائري، دراسة الأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر. الجزائر: دار القصبة للنشر.

7. عبد الله الكدالي. (2019). المقام والتواصل. الدار البيضاء: المركز الثقافي للكتاب.

8. فالح الربيعي. (بلا تاريخ). القصص القرآني، رؤية فنية. القاهرة، مصر: الثقافة للنشر.

9. كلود ريفير . (2015). أنثروبولوجيا الأديان ،الأنثروبولوجيا الاجتماعية للأديان. (أسامة نبيل، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

10. مارك أوجيه ، و جان بول كولاين. (2008). الأنثروبولوجيا. (جورج كتوره، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

11. مالك بن نبي . (2000). مشكلة الثقافة. (عبد الصبور شاهين، المترجمون) بيروت: دار الفكر.

12. محفوظ كحوال. (2007). الأجناس الأدبية النثرية والشعرية . قسنطينة: نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع.

13. محمد برادة. (2012). الرواية العربية، ورهان التجديد. القاهرة: سلسلة الإبداع العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

14. محمد الجوهري، و علياء شكري. (2007). مقدمة في دراسة الانثبرولوجيا. القاهرة.

15. مختار نويوات. (جوان, 2006). عوائد ومعتقدات عالمية (خلاصة لدراسة طويل). مجلة اللسانيات واللغة العربية.